نبذة مختصرة

عن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

رحمه الله

- ولد فضيلة الشيخ الإمام داعية الإسلام «محمد متولى الشعراوى فى ١٦ من أبريل عام ١٩١١ بقرية دقادوس[١] مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية.
- أتم حفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية وعمره أحد عشر عاماً.
- ألحقه والده رحمة الله تعالى عليه بالمعهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق عام ١٩٢٦م، ثم التحق بالقسم الثانوى وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٦م.
- التحق رضى الله تعالى عنه بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٧م وحصل على عالية اللغة العربية عام ١٩٤١م، ثم حصل على العالمية وإجازة التدريس عام ١٩٤٣م.
- بدأ حياته العملية مدرساً بمعهد طنطا الأزهرى، ثم معهد الاسكندرية، ثم معهد الزقازيق، ثم معهد طنطا مرة أخرى.
- عمل مدرساً للتفسير والحديث بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٩٥١م.
- وبعد عودته من المملكة العربية السعودية عين فضيلته وكيلاً لمعهد طنطا الأزهرى.
- تولى رضى الله تعالى عنه منصب مدير الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١م بمحافظة الغربية.
- عين فضيلته مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر الشريف عام ١٩٦٢م.

---

(١) دقادوس: قرية قديمة جداً تقع شرق النيل - فرع دمياط - وكانت تتبع الشرقية واسمها فى العصر الفرعونى «أتوكاتوس» وفى العصر القبطى «تاكادوس» والعربى «تقدوس» . و«دقادوس» هى الآن تابعة لمدينة ميت غمر محافظة الدقهلية . اشتهرت قديماً بصناعة تجليد الكتب وصناعة الحصير الريفى، وتشتهر إحدى عائلاتها بتجبير وعلاج كسور العظام.
تضم أيضاً مساجد عديدة لشيوخ أجلاء بعضهم من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لله منها: مسجد محمد شمس الدين الباز، ومسجد سيدى عبد الله الأنصارى، ومسجد سيدى أبى بكر السطوحى - تلميذ السيد البدوى - ومسجد محمد نصر الدين الأربعين . تناقلت الصحف أخبار دقادوس فى عام ١٩٣٠م عندما حدثت اضطرابات بها لامتناع أهلها عن التصويت فى الانتخابات المزورة ضد حزب الوفد والتى قام بها إسماعيل صدقى باشا وسقط فيها شهداء وقتل فيها ضباط وظلت تحت حصار قوات - الهجانة - فترة طويلة وقد طبق فيها حظر التجول من الغروب وحتى الصباح .

obeikandl.com

- اختاره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ «حسن مأمون» شيخ الأزهر مديراً لمكتبه عام ١٩٦٤م.
- ابتُعث رئيساً لبعثة الأزهر الشريف فى الجزائر - بعد استقلالها - عام ١٩٦٦م وأشرف خلال مدة بعثته بالجزائر على وضع مناهج دراسية للغة العربية بها.
- فى عام ١٩٧٠م عين أستاذاً زائراً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ثم رئيساً لقسم الدراسات العليا بها حتى عام ١٩٧٢م.
- سطع نور فضيلة الشيخ الإمام «محمد متولى الشعراوى» كداعية إسلامى من طراز فريد فى عام ١٩٧٣ من خلال التليفزيون المصرى ثم العربى، فكان نوراً على نور هدى الله به الخلق الكثير والجم الغفير وكانت إطلالته يوم الجمعة على محبيه ومريديه يوم عيد تتنزل فيه الرحمات ويباهى به الله تعالى ملائكته.
- اختاره السيد «ممدوح سالم» رئيس مجلس وزراء مصر الأسبق وزيراً للأوقاف عام ١٩٧٦م.
- أُعيد اختيار فضيلته وزيراً للأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر فى التشكيل الجديد لوزارة السيد «ممدوح سالم» عام ١٩٧٧م.
- بعد أن قدم الكثير والكثير، لبلده ولأمته، رأى فضيلته أن الأفضل له ولدعوته أن يكون حراً فى البلاغ عن ربه فقدم استقالته من مهام الوزارة فى ١٥/ ١٠/ ١٩٧٨م.
- منحه الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» وسام الاستحقاق عام ١٩٧٦م.
- بعد أن تحرر من قيود الوزارة انطلق رضى الله تعالى عنه فى مشارق الأرض ومغاربها داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وموضحاً سماحة الإسلام ووسطيته، مفنداً لما يحاول البعض أن يلصقه بالإسلام من مفاهيم ضالة، فقام بزيارة الهند عام ١٩٧٧، وباكستان عام ١٩٧٨، والمملكة المتحدة عام ١٩٧٧، والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣، وكندا عام ١٩٨٣، وكثير من البلاد الأوروبية والآسيوية. حاملاً فى قلبه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مؤديا واجب البلاغ عن ربه تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.
- عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٨٠م.
- اختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٧م.
- منحه الرئيس «محمد حسنى مبارك» وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨م فى الاحتفال بيوم الدعاة.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨م.
- حصل على جائزة دبى الدولية لخدمة القرآن الكريم عام ١٩٧٧م.

obeikandl.com

- انتقل رضى اللّه تعالى عنه إلى رحمة اللّه تعالى فى يوم ١٧/٦/١٩٩٨ فى منزله العامر بالهرم ودفن بمسقط رأسه فى دقادوس، وكان يوماً مشهوداً اتسعت فيه القرية لاحتضان ما يقرب من مليونى شخص يودعون شيخهم إلى مثواه الأخير، وقد قام الأزهر الشريف بعمل سرادق بميدان الحسين لتلقى العزاء فيه، وقد أمّ السرادق العديد من الوفود العربية والإسلامية والشعبية والرسمية، وشارك الشعب المصرى بكل طوائفه فى تلقى العزاء، فكان الكل يعزى الكل فى مصاب الأمة الفادح.
- مُنح قلادة الجمهورية رفيعة المستوى من السيد «محمد حسنى مبارك» رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٩٩٨م لاسم فضيلته بعد انتقاله إلى رحمة اللّه تعالى.
- منح وسام الشيخ زايد من المرتبة الرفيعة.
- وخير ما قدمه فضيلة الشيخ الإمام «محمد متولى الشعراوى لأمته العربية والإسلامية، خواطره حول القرآن الكريم التى تذاع فى جميع أنحاء العالم مرئية ومسموعة ومقروءة وعلى أقراص الـ CD.
- تذخر المكتبة الإسلامية بالعديد من كتب فضيلته فى كافة فروع العلم والمعرفة، وإن كانت جميعها تنهل من المورد الصافى والمعين الذى لا ينضب ألا وهو تفسير الشعراوى وإذا كان التفسير قد أُلقى فى شكل دروس وحلقات، وطبع مسلسلاً حسب ترتيب القرآن العظيم، فإن هذه الكتب عبارة عن تفسير موضوعى لآيات جمعت بعناية فائقة، ورتبت ترتيباً جيداً، وروجعت مراجعة علمية دقيقة ارتضاها الشيخ في حياته وأشاد بها وأثنى عليها ويجدر التنويه إلى أن فضيلة الإمام قبل رحيله لم يعهد إلا لمكتبة التراث الإسلامي ودار أخبار اليوم بطباعة كتبه وأقرت ذلك ورثته بعد رحيله ووافقت عليه.

لذا فإن كافة الكتب التى تصدر عن غير مكتبة التراث الإسلامى ودار أخبار اليوم هى كتب غير صحيحة وعلى حد تعبير الشيخ: إن أصابوا فى شىء فقد أخطأوا فى أشياء.

مؤلفات الشيخ الشعراوي:

للشيخ الشعراوي عدد من المؤلفات، قام مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة بجمعها وإعدادها للنشر، وأشهر هذه المؤلفات:

- ١٠٠ سؤال وجواب للمرأة المسلمة
- ٢٠٠ سؤال وجواب فى الفقه الإسلامي
- أحكام الأسرة والبيت المسلم
- أحكام الصلاة
- أحكام الصيام
- إنكار الشفاعة
- الأذكار والدعوات والحكم الشعراوية
- الأنوار الكاشفة

obeikandl.com

- الإسراء والمعراج
- التوبة
- الجهاد فى الإسلام
- الحصن الحصين
- الدار الآخرة
- السيرة النبوية
- الشيوعية . . الصنم الذي هوى
- العقيدة فى الله
- الفتاوى الكبرى
- المناعة الإيمانية
- الوصايا
- حفاوة المسلمين بميلاد خير المرسلين ﷺ
- زوجات النبي ﷺ وآل البيت
- علامات القيامة الكبرى
- فتاوى النساء
- قصص الأنبياء والمرسلين
- المعجزة الخالدة معجزة القرآن ١/ ٢
- مكارم الأخلاق
- منهاج الصالحين
- التداوي بالصيام
- الجنة وعد الصدق
- الحسد
- الحياة البرزخية
- السحر
- الشفاعة والمقام المحمود
- الظلم والظالمون
- الغارة على الحجاب
- الفقه الإسلامي الميسر ١/ ٣
- الهجرة النبوية
- جهنم . . أهوالها وأحوالها
- زكاة الورعين
- علامات القيامة الصغرى
- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم
- فتاوى القرآن
- معجزات الأنبياء والمرسلين
- معجزة القرآن في خلق الإنسان
- وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم
- مريم والمسيح

obeikandi.com

قالوا عن الشيخ الشعراوي في يوم رحيله :

كلمة معالي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

فضيلة الشيخ سامي ابن الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي ،

في وداع والده

سبحانك ربى ما أعدلك، فحينما تشتد المصائب فى عنف ؛يسكتها الإيمان فى لطف، وحينما يعظم الكرب تتجلى رحمة الرب، ولا عزاء للمحزون إلا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦]. أبت .. ماذا أقول وقد أخجلنا حب أحبابك، وأذرى بنا وفاء أصحابك؟

ماذا أقول وقد تختلف القلوب حولك حتى أرضتنا وأرضت عنا وبعدك عنا؟

أبت .. يا رحمة للناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أديت وهديت، وملكت فتركت .

أبت .. هؤلاء أحبابك فى مشارق الأرض ومغاربها، لا يملك لهم عجزنا، إلا أن نسأل الله سبحانه أن يتولى عنا جزاءهم ؛ حكاما ومحكومين، شعوبا قبل الرعاة .

أبت .. أقف هذا الموقف وأنا خجل من نفسى، خجل من نفسى لأننا كنا كلنا أبناءك وآلك ننافس هؤلاء على حبك لهم، وعلى انفرادك بهم دوننا .

ولكن الآن، طابت النفوس وقرت العيون، لأنك كنت تنظر بنور الله، فترى فيهم أحبابك قبلنا، وترى فيهم أبناءك دوننا .

أبت .. يضيق المقام، وتعلوا القمة، فلا يستطيع ضعفى أن يدركها .

أبت .. تولى عنا الرضا والدعاء، لكل هؤلاء الأحباب، فى مصر وسائر البلاد الإسلامية ملوكاً ورؤساء، وشيوخا وأمراء، وقبل هؤلاء جميعا أحبابك الضعفاء .. الشعب الذى كنت تثور علينا، حينما نحاول أن نمنحك بعض الراحة من حبهم، وتقتِب لنا جبينك، وترينا ما لم نعهده من قسوة ظاهرة فقط، حتى لا نعود لمثلها .

أبت .. اسأل ربك أن يكلأ برعايته وعنايته كل هؤلاء وعلى رأسهم رئيسنا المبارك، ومنظومة الإعلام كلها مسموعة، ومرئية، ومقروءة. جزاهم الله عنا خير الجزاء .

أبت .. لا أريد أن أغادر مكانى هذا قبل أن أناجيك وهى من مناداتك ومن تعليمك،

فلا فضل لى فيها، وإني وإياك، أو إنك وإياي، كالبحر تمطره السماء وما لها فضل عليه لأنه من مائه .

أبت .. معانيك فى روحى ورسمك فى فكرى
هما سلوةُ الوجدان عن نكبة الدهر
قضى الله يا نفسى بما تحذرينه
فلست أبالى ما يجئ به دهرى
كسبنا بك الدنيا معيناً ومؤنساً
ونرجوا بك الأخرى جزاءَ على الصبر
فيا أبت .. فيا أبت لا تحرم العين زورة
فأنت طليق الروح تسعى لذى أسرِ
عليك سلام الله نوراً ورحمة
ويجمعنا الرحمن فى ساحة الطهر

معالي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
فضيلة الشيخ/ سامي محمد متولي الشعراوي

obeikandl.com

كلمة فضيلة الشيخ
الدكتور يوسف القرضاوى

فى وداع عالم الأمة الشيخ الجليل محمد متولى الشعراوى

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله. لقد فقدت الأمة الإسلامية بموت الشيخ محمد متولى الشعراوى علما من أعلامها، وكوكبا من كواكب الهداية فى سمائها، فقدت رجلا عاش عمره فى خدمة العلم وخدمة القرآن وخدمة الإسلام، وموت العلماء لا شك مصيبة على الأمة، خصوصا إذا تكرر فقدهم واحداً بعد الآخر، وقد فقدنا فى هذه الفترة عددا من هؤلاء النجوم، فقدنا الشيخ الغزالى، والشيخ خالد محمد خالد، والشيخ جاد الحق على جاد الحق، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[1].

لقد قال الشاعر قديما بعد أن مات أحد الرجال الأتقياء:

ولكن الرزية فقد حر ... يموت بموته خلق كثير

فكيف إذا كان هذا المفقود أحد العلماء الربانيين الذين تركوا وراءهم الكثير من العلم الزاخر وتراثا من التفسير الباهر للقرآن الكريم.

لقد رحل عنا رجل القرآن وهو الشيخ الشعراوى، فلا شك أنه كان أحد مفسرى القرآن الكبار، وليس كل من قرأ القرآن فهمه، ولا كل من فهم القرآن غاص فى بحاره، وعثر على لآلئه وجواهره، ولا كل من وجد هذه الجواهر استطاع أن يعبر عنها بعبارة بليغة، ولكن الشيخ الشعراوى كان من الذين أوتوا فهم القرآن، ورزقهم الله تعالى من المعرفة بأسراره وأعماقه ما لم يرزق غيره، فله فيه لطائف ولمحات وإشارات ووقفات ونظرات استطاع أن يوثر بها فى المجتمع من حوله، وقد رزق الله الشيخ الشعراوى القبول فى نفوس الناس، فاستطاع بأسلوبه المتميز أن يؤثر فى الخاصة والعامة، فى المثقفين والأميين، فى العقول وفى القلوب، وهذه ميزة قلما يوفق إليها إلا القليلون الذين منحهم الله تعالى من فضله.

---

(١) أخرجه البخاري [١٠٠] ومسلم [٢٦٧٣/ ١٣] عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما.

ترك الشيخ الشعراوى القرآن مفسرا فى أشرطة فى التليفزيونات العربية وقد فسر أكثر القرآن. عندما لقيته فى شهر رمضان الماضي قال: إنه بقى عليه نحو أجزاء وأقل. وسألت الله تعالى أن يمد فى عمره حتى ينتهى من هذا التفسير، ويبدو أن القدر لم يمهله حتى ينهيه. وقد كتب هذا التفسير أيضا. فمن تلاميذ الشيخ من يقومون بإعداد هذا التفسير مكتوبا لينشر جزءا بعد آخر. كما ترك الشيخ الشعراوى كتبا أخرى فى موضوعات إسلامية وفتاوى فى موضوعات شتى.

اتفق الناس مع الشيخ الشعراوى واختلفوا معه. وهذه طبيعة العلم والعلماء لا يمكن أن يوجد عالم يتفق عليه الناس؛ كل الناس ومن فى الناس يرضى كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد كما قال الشاعر. وقديما قالوا: «رضا الناس غاية لا تدرك» والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود]. «قال كثير من المفسرين ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ أى: للاختلاف خلقهم لأنه حين خلقهم منح كلا منهم حرية العقل وحرية الإرادة وما دام لكل منهم عقله الحر وإرادته الحرة فلا بد أن يختلفوا ولقد اختلف الناس من قبل على الرسل والأنبياء، واختلفوا على المصلحين، والعظماء. وقال على رضى الله تعالى عنه: «هلك فى اثنان، محب غال ومبغض غال»[(١)] وهذه طبيعة الحياة والناس.

كان للشيخ نزعته الروحية الصوفية الظاهرة، وهناك من يعادون التصوف. وكان للشيخ آراء معينة فى الفقه وفى غيره لا يوافقه عليها الآخرون، مثل رأيه فى زراعة الأعضاء فكان لا يوافق على ذلك. وكان الشيخ مسالما لا يرضى بمواجهة الحكام ويأخذ الأمور بالأناة والتدرج. وهناك أناس يريدون أن يأخذوا كل شئ بالقوة وبالمواجهة فلا بد أن يخالفوا الشيخ رحمه الله ولكن مهما اختلف الناس مع الشيخ الشعراوى فلا يمكن أن يختلفوا فى قيمته وفى قدره وفى دوره فى الدعوة إلى الله وإلى الإسلام وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم وباللغة التي يفهموها. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

الشعراوى أستاذى:

ولقد عرفت الشيخ الشعراوى وأنا طالب فى المرحلة الثانوية فقد درسنا حينما جاءنا مدرسا للبلاغة فى معهد طنطا وتسامعنا نحن الطلاب أن جاء الشيخ الشعراوى وهو مدرس عظيم وشاعر عظيم، أما تدريسه فقد كان فعلاً مدرساً جذاباً، كان يستطيع أن يوصل المعلومة إلى طلابه، بطريقة الإشارة والحركة وضرب الأمثلة، وغير ذلك، وأما شعره

(١) روى أحمد في المسند [١/ ١٦٠] عن علي رضى الله تعالى عنه: «يهلك فيّ رجلان، محب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني».

فكان شعرا مطبوعا وكان شاعرا مبدعا وأذكر له قصيدة لا أذكر مطلعها، وإنما آخرها وكانت قصيدة رائعة:

كل دنيا تبنى على غير دين فبناء على شفير هارى

وقد ذكرته هذا البيت عندم لقيته فى شهر رمضان فى دبى، وقد حضرت الاحتفال بتكريمه فى دبى، حينما دعتنى لجنة الجائزة الدولية لجائزة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى للقرآن الكريم ولتكريم الشخصيات الإسلامية، وكان الشيخ الشعراوى هو الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٧ هـ. ولما قيل لى ذلك قلت لهم: إن من حق الشيخ الشعراوى على أن أحضر الاحتفال بتكريمه. وقد تكلمت فى تكريمه، وسر الشيخ حينما رآنى أبلغ السرور وفرح وارتاح لمجيئى ودعا لى كثيرا حين عرف أنى جئت لأشارك فى تكريمه وهو أهل أن يكرم، والمفروض فينا نحن المسلمين أن نكرم علماءنا الأفذاذ من أمثال الشعراوى والغزالى وغيرهما.

ضرورة احترام العلماء:

وأنا أعيب على الإسلاميين لا يكرمون علماءهم ومفكريهم وأدباءهم كما يفعل العلمانيون والماركسيون الذين يضعون هالات ضخمة على رجالهم، ولكننا لا نفعل ذلك مع رجالنا حتى نفقدهم ولا أستطيع إلا أن أقول ونحن نودع الشيخ الشعراوى أن أنشد قول الشاعر:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل فعل منكر
وبقيت فى خلق يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور

إن من حق علمائنا أن نكرمهم ونقدرهم ونقتبس من ضيائهم ونأخذ العلم عنهم، وننتهز هذه الفرصة لنتربى على أيديهم. ولكن أجيالنا الجديدة للأسف لا تفعل ذلك لا تعرف قيمة العالم إلا حينما تفقده، وليس أمثال الشيخ الشعراوي بالكثيرين بل هم القليل والأقل من القليل ولا أرى فى الساحة من يعوض الشيخ الشعراوى أو الشيخ الغزالى.. وعلينا نحن المسلمون أن نهيئ من شبابنا من يسد الثغرة ويلبى حاجة الأمة، وإلا فإن الأمة كلها آثمة إذا خلت ساحتها من أمثال هؤلاء الرجال الذين يعلمون الناس الخير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير»[1] لقد كان الشيخ الشعراوى من معلمى الخير للناس وأعظم

(١) روى الهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٢٩] عن جابر رضى الله تعالى عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: إسماعيل بن عبد الله بن زرارة وثقه ابن حبان وقال الأزدي منكر الحديث ؛ ولا يلتفت إلى قول الأزدي في مثله، وبقية رجاله صحيحة.

الخيرات هو القرآن .. وفى الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

إننا ونحن نقف مودعين لهذا الرجل العالم الربانى والذواقة الإيمانى وأحد المربين الذين نوروا القلوب بعلم الإسلام وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وربط الناس بالله وحشدهم فى ساحة هذا الدين إننا حينما نقف هذه الوقفة لا يسعنا إلا أن ندعوا الله تبارك وتعالى أن يغفر للشيخ ويتقبله فى الصالحين ويجزيه عن الأزهر وعن العلم وعن القرآن وعن الإسلام وأمته خير ما يجزى به العلماء العاملين والدعاة الصادقين والأئمة المجاهدين ونسأله أن يعوضنا عنه خيرا، وأن يجعل فى هذا الجيل من يخلفه فى علمه وعمله ويقوم بواجبات الدعوة إلى الله .

عن جريدة الوطن /القطرية فى ١٩٩٨/٦/١٠

الدكتور يوسف القرضاوى

❁ ❁ ❁

فقد العلماء بالموت خسارة إنسانية كبرى، إن الناس يحسون عندئذ أن ضوءا مشعا قد خبا، وأن نورا يهديهم قد احتجب، ولقد كان هذا شيئا قريبا من إحساسنا بموت الشيخ محمد متولي الشعراوي يرحمه اللّه تبارك وتعالى.

كان أول ظهور له على المستوى العام «فى التليفزيون» هو ظهوره في برنامج «نور على نور» للأستاذ أحمد فراج.

وكانت الحلقة الأولى التي قدمها عن «حلية رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم» كانت الحلقة تتحدث عن أخلاق الرسول وشمائله، ورغم أن هذا الموضوع قديم كتب فيه الكاتبون، وتحدث فيه المتحدثون، إلا أن الناس أحسوا أنهم أمام فكر جديد وعرض جديد ومذاق جديد. لقد أحسوا أنهم يسمعون هذا الكلام لأول مرة.

ولعل هذه كانت أول مزية للشيخ الشعراوي، إن القديم كان يبدو جديدا على لسانه، أيضا أشاعت هذه الحلقة إحساسا فى الناس بأن اللّه يفتح على الشيخ الشعراوي وهو يتحدث، ويلهمه معاني جديدة وأفكارا جديدة.

بعد هذا القبول العام انخرط الشيخ الشعراوي في محاولة لتفسير القرآن وأوقف حياته على هذه المهمة ؛ ولأنه أستاذ للغة أساسا كان اقترابه اللغوي من التفسير آية من آيات اللّه، وبدا هذا التفسير للناس جديدا كل الجدة، رغم قدمه ورغم أن تفسير القرآن قضية تعرض لها آلاف العلماء على امتداد القرون والدهور، إلا أن تفسير الشيخ الشعراوي بدا جديدا ومعاصرا رغم قدمه، وكانت موهبته فى الشرح وبيان المعاني قادرة على نقل أعمق الأفكار بأبسط الكلمات. . وكانت هذه موهبته الثانية. وهكذا تجمعت القلوب حول

(١) أخرجه البخاري [٥٠٢٧] عن عثمان رضى اللّه تعالى عنه.

obeikandl.com

الرجل وأحاطته بسياج منيع من الحب والتقدير . . وزاد عطاؤه وزاد إعجاب الناس به، ومثل أي شمعة تحترق من طرفيها لتضيء، مضى الشيخ الشعراوي في مهمته حتى اختاره الله إلى جواره . . عزاء لنا وللأمة الإسلامية.

«أحمد بهجت»

❁ ❁ ❁

إن الشيخ الشعراوي عليه رحمة الله كان واحداً من أعظم الدعاة إلى الإسلام في العصر الذي نعيش فيه، والملكة غير العادية التي جعلته يطلع جمهوره على أسرار جديدة وكثيرة في القرآن الكريم. وكان ثمرة لثقافته البلاغية التي جعلته يدرك من أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم ما لم يدركه الكثيرون وكان له حضور في أسلوب الدعوة يشرك معه جمهوره ويوقظ فيه ملكات التلقي. ولقد وصف هو هذا العطاء عندما قال: «إنه فضل جود لا بذل جهد». رحمه الله وعوض أمتنا فيه خيراً.

«د. محمد عمارة»

❁ ❁ ❁

إن الشيخ الشعراوي قد قدم لدينه ولأمته الإسلامية وللإنسانية كلها أعمالا طيبة تجعله قدوة لغيره في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

«د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر»

❁ ❁ ❁

فقدت الأمة الإسلامية علما من أعلامها كان له أثر كبير في نشر الوعي الإسلامي الصحيح، وبصمات واضحة في تفسير القرآن الكريم بأسلوب فريد جذب إليه الناس من مختلف المستويات الثقافية.

«د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف»

❁ ❁ ❁

إن الشعراوي أحد أبرز علماء الأمة الذين جدد الله تعالى دينه على أيديهم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها».

«د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر»

❁ ❁ ❁

إن الفقيد واحد من أفذاذ العلماء في الإسلام قد بذل كل جهد من أجل خدمة الأمة في دينها وأخلاقها.

«الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا»

إن الجمعية الشرعية تنعى إلى الأمة الإسلامية فقيد الدعوة والدعاة إمام الدعاة إلى الله تعالى، حيث انتقل إلى رحاب ربه آمنا مطمئنا بعد أن أدى رسالته كاملة وبعد أن وجه المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها إلى ما يصلح شئون حياتهم ويسعدهم في

obeikandl.com

آخرتهم، فرحم الله شيخنا الشعراوي رحمة واسعة وجعله في مصاف النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وجزاه الله عما قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء

«د. فؤاد مخيمر رئيس عام الجمعية الشرعية»

❁ ❁ ❁

لا شك أن وفاة الإمام الراحل طيب الذكر فضيلة الشيخ الشعراوي تمثل خسارة فادحة للفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية والعالم الإسلامي بأسره، فقد كان رحمه الله رمزاً عظيماً من رموز ذلك كله وخاصة في معرفته الشاملة للإسلام وعلمه المتعمق وصفاء روحه وشفافية نفسه واعتباره قدوة تحتذى في مجال العلم والفكر والدعوة الإسلامية وإن حزننا لا يعادله إلا الابتهال إلى الله بأن يطيب ثراه وأن يجعل الجنة مثواه.

«د. أحمد هيكل وزير الثقافة السابق»

❁ ❁ ❁

لا ينبغي أن نيأس من رحمة الله والإسلام الذي أفرز الشيخ الشعراوي قادر على أن يمنح هذه الأمة نماذج طيبة وعظيمة ورائعة تقرب على الأقل من الشيخ الشعراوي ومع ذلك نعتبر موته خسارة كبيرة، خسارة تضاف إلى خسائر الأعوام الماضية أمثال أساتذتنا الغزالي، وجاد الحق وخالد محمد خالد. وأخشى أن يكون هذا نذير اقتراب يوم القيامة الذي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن من علاماته أن يقبض العلماء الأكفاء الصالحون وأن يبقى الجهال وأنصاف العلماء وأشباههم وأرباعهم فيفتوا بغير علم ويطوعوا دين الله وفقا لضغوط أولياء الأمور ويصبح الدين منقاداً لا قائداً.

ونسأل الله أن يجنب الأمة شر هذا وأن يخلفها في الشيخ الشعراوي خيراً.

«د. عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ الإسلامي»

❁ ❁ ❁

رحم الله تعالى شيخنا الجليل رحمة واسعة وجزاه عنا وعن أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الجزاء وأنزله منازل الأبرار وجمعنا به في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. والحمد لله رب العالمين

ذي الحجة ١٤٢٤

عبد الله حجاج

obeikandl.com

القرآن.. المعجزة؟

القرآن هو كلام الله المنزّل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمتعبد بتلاوته والمتحدَّى به الإنسُ والجنُ والعالمون، ولم يتحدَّ الله به الملائكة ؛ لأن الملائكة ليس لهم اختيارات يعملون بها، إنما هم يفعلون ما يؤمرون، ومن هنا فإن القرآن يتحدى كل القوى المختارة أو التى لها اختيار، أو التى ميزها الله بقدرة العقل والفكر والاختيار.

وقبل أن نتحدث عن معجزات القرآن، فإننا يجب أولاً أن نحدد ما هى المعجزة؟

المعجزة هى خرق لنواميس الكون، أو لقوانين الكون، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله ليدل على منهجه، ويثبتهم به، ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم والسماء حين تؤيد وتنصر، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

ولكننا حين يأتى إنسان ويقول: إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهجه، أنصدقه أم أننا نطالبه بإثبات ما يقول؟ إذن.. كان لابد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه فى رسالته وفى بلاغه عن الله.

ومعجزات الله تتميز عن أية معجزات أخرى تمييزا واضحا قادرا، فهى أولاً تأتي وتتحدى من أرسل فيهم الرسول فيما نبغوا فيه، لماذا؟ لأن التحدي فيما نبغ فيه القوم لا يعتبر تحديا فمثلاً إذا جئنا ببطل العالم فى رفع الأثقال، وتحدينا به رجلا عاديا، لا يكون هناك مجال للتحدي، لماذا؟ لأن المتحدى لم ينبغ فى جنس العمل نفسه الذى أريد أن يتم فيه التحدي ولكننا إذا جئنا ببطلين من أبطال العالم، فإن التحدي يكون بينهما واضحا ويكون له معنى فيمن يثبت أنه هو الأقوى.

وإذا جئنا بإنسان قد نبغ فى الطب مثلاً وأرسلناه إلى بلد ليس فيه طبيب فلا يعتبر هذا تحديا ؛ لأنه لا يمكن أن يجد هذا الطبيب من ينافسه بحيث يكون هناك مجال للتحدى ولكننا إذا جئنا بهذا الطبيب وأرسلناه إلى أكبر عواصم العالم، هنا يكون التحدى لهذا الطبيب هو تحد بقوة العقل حيث إننا وضعناه فى اختبار مع أكبر ما فى عصره من قوة يمكن أن تواجهه نكون بذلك قد وصلنا إلى نقطتين: النقطة الأولى، أن المعجزة يجب أن تكون خرقا لقوانين البشر ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى الذى وضع هذه القوانين. وثانيتهما أن المعجزة - معجزة كل نبى - يجب أن تكون مما نبغ فيه قومه حتى يكون التحدى نابغا وقويًا وإثباتا على قدرة الله سبحانه وتعالى، فلا آتى بقوم نبغوا فى الطب مثلاً وأرسل لهم معجزة فى البلاغة، أو آتى بقوم قد نبغوا فى البلاغة وأرسل لهم معجزة فى

obeikandi.com

الطب، هنا الإحساس بالمعجزة لا يكون فيه التحدى القوى للإنسان، فالتحدى يجب أن يكون فى أمر نبغ القوم فيه حتى لا يتحدى الله قوما بأمر لا يعرفونه، ولا موهبة لهم فيه، وحتى يكون للتحدى قيمة، ومن هنا كانت معجزة كل رسول فيما نبغ فيه قومه.

على أن المعجزة لا تأتى فقط بخرق القوانين والتحدى، وإنما توفر أسباب هذا التحدى بمعنى أن القوم الذين يريد الله أن يتحداهم يمكنهم من الأسباب كلها، ثم بعد ذلك يعطل الأسباب، فلا يتم الفعل.

ولنعط أمثلة سريعة على ذلك ؛ مثلا معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام، ومعجزة نجاة موسى عليه السلام، كلتاهما معجزة، وضعت فيها الأسباب ثم عطلت، فمعجزة إبراهيم جاءت تحديا فى قوم يعبدون الأصنام، ويسجدون لها ويقدسونها، ولذلك عندما أرادوا إحراق إبراهيم كانوا يريدون أن ينتقموا لآلهتهم وهى الأصنام، وكان الانتقام معدا بالشكل الذى يمجد هذه الأصنام، ويجعل إبراهيم عبرة لكل إنسان تسول له نفسه أن يهينها أو يكفر بها [١].

وجاءوا بإبراهيم عليه السلام، وأمام آلهتهم وفى حمايتها كما يعتقدون بزعمهم، وأوقدوا نارا هائلة ليحرقوه والحرق هنا أمام الآلهة وعلى مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم انتقاما تباركه الآلهة وتجعله رهيبا، وجاءوا بالحطب ووقفوا أمام آلهتهم مصدر قوتهم، وأوقدوا النار الهائلة كل شىء يعبد هنا معد لتمجيد آلهة غير الله سبحانه وتعالى، وأتوا بإبراهيم، والسؤال هنا لماذا جعلهم الله يأتون بإبراهيم ليحرقوه فى النار أمام آلهتهم؟ من الممكن أن يختفى إبراهيم فى أى مكان ولا يظهر، وكانت هذه المسألة ممكنة ؛ وهى تقى إبراهيم الحرق وتجعلهم لا يعثرون عليه ولكنه لو حدث هذا لقالوا: لو أننا قبضنا على إبراهيم لأحرقناه ؛ ولكن حينئذ كانت ستظل قوة الآلهة المزيفة التى يعبدونها مسيطرة عليهم فى أن لها قدرة النفع والضر وأنها تنفع من يعبدها وتضر من يؤذيها، وقالوا لولا هروب إبراهيم لأحرق فى النار ودمرته آلهتهم - وهى الأصنام - تدميرا، ولذلك كان لابد ألا يهرب إبراهيم بل يقع فى أيديهم. ليشهد القوم جميعا فساد معتقداتهم وعجزها أمام قدرة الله.

وكان من الممكن أن تنطفئ النار لأى سبب من الأسباب، كأن ينزل المطر من السماء فتنطفئ النار، ولكن هذا لم يحدث، لماذا؟ للسبب نفسه ؛ لأنه لو انطفأت النار لقال الكفار: إن آلهتنا كانت قادرة على أن تحرق إبراهيم، ولكن السماء أمطرت ولو أن السماء لم تمطر لانتقمت آلهتنا منه بالحرق. فإبراهيم لم يهرب، بل وقع فى أيديهم،

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب شرح معجزات الأنبياء والرسل لفضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى. وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامى.

والنار لم تنطفئ، بل ازدادت اشتعالا ثم ألقوا بإبراهيم فى النار، فإذا بالله سبحانه وتعالى يبطل خاصية الإحراق فى النار، وتكون بردا وسلاماً على إبراهيم.

إذن.. فمعجزة إبراهيم ليست أن ينجو من النار، ولو أراد الله أن ينجيه من النار ما أمكنهم من القبض عليه، أو لنزلت الأمطار لتطفئ النار، ولكن الله شاء أن تظل النار متأججة محرقة قوية، وأن يؤخذ إبراهيم عيانا أمام الناس ويرمى فى النار، ثم يعطل الله ناموس أو قانون إحراقها. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فتتعطل خاصية الإحراق فى النار ولم يحترق إبراهيم، وتقف آلهتهم تلك التى حطمها إبراهيم عاجزة عن أن تجعل إبراهيم يحترق أو تناله بأى سوء.

وموسى عليه السلام أوحى الله إلى أمه أن تُلقيه فى اليَمّ لينجو، وآخر شىء يمكن أن يقوم به أب أو أم حين يريد أن ينجى طفله هو أن يلقيه فى الماء، فالطفل عاجز صغير وليد وإلقاؤه فى الماء يعرضه لخطر عظيم فقد تأتى موجة صغيرة من الماء فتطيح بالسلة التى فيها موسى فينقلب فى الماء فيغرق فى الحال، فهو لا يعرف شيئا عن السباحة فى الماء، ولا يستطيع أن يفعل شيئا إذا سقط فى قاع البحر، وإذا لم يسقط فقد تهطل الأمطار لتملأ السلة التى هو بها، فيختنق ويغرق، وقد تأتى ريح تقلب هذه السلة فى الماء فيموت، إذن فكل الأخطارموجودة فى إلقاء موسى فى اليم ما عدا فرصة الحياة، والمنطق والأسباب والعقل كلها تقول: إنه إذا أرادت أم موسى أن تنجيه فلتفعل أي شىء فى العالم إلا أن تلقيه فى الماء، كان يمكنها أن تأخذه إلى مكان بعيد يختفى فيه وكان يمكنها أن تهاجر بابنها إلى خارج مصر، وكان يمكنها أن تخفيه فى منزلها فى مكان حصين لا يصل إليه جنود فرعون ولكن.. الله أمرها أن تلقيه فى اليم، حيث يواجه خطر الموت أكثر مما يواجه احتمال الحياة، وجعل فى هذا الخطر خطر موت موسى غرقاً أو بطير جارح، أو بريح قوية، جعل هذه الأخطار كلها الطريق الوحيد المضمون لنجاة موسى، لماذا؟ لأن الله هو الفاعل، وهنا تتعطل الأسباب.. ويصبح الإلقاء نفسه هو النجاة والأمان والاطمئنان.

نعود مرة أخرى إلى المعجزة، لقد جاء كل نبى إلى قومه بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه، قوم موسى نبغوا فى السحر، فجاء موسى عليه السلام بمعجزة السحر وتحدى قومه فكان أول من آمن به هم السحرة، لماذا؟ لأنهم هم الذين يرهبون عيون الناس ويسحرونها فلما رأوا معجزة موسى كانوا أقدر الناس على فهمها، والسجود لها نظرا لما رأوه من الفرق الهائل بين قدرة الله، وقدرة البشر، ولما أحسُّوا برهبة وهو يقابل ما نبغوا فيه من السحر بما أعطاه الله له ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف].

هكذا كان أول من آمن هم أولئك الذين نبغوا فى المعجزة، وهم أولئك الذين أراد الله تعالى أن يتحداهم فيما نبغوا فيه، فلما رأوا عظمة التحدّى خَرُّوا ساجدين لماذا؟ لأن لديهم جزءا من العلم الأرضى من السحر، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨] فلما

رأوا المعجزة أحسُّوا بروعتها، أحسُّوا بجلالها، أحسوا بأنها من عند اللّه سبحانه وتعالى، فنسوا فرعون ووعوده. ونسوا الذهب والفضة وجاه الدنيا الذى ينتظرهم، بل نسوا أن فرعون سيسومهم سوء العذاب، وأنه جبار فى الأرض، تلاشى كل هذا عندما رأوا المعجزة، وخروا ساجدين للّه، وكانوا هم الذين أراد فرعون أن يتحدى بهم معجزة اللّه ودين اللّه، فإذا بهم أول من يسجد لهذا الدين.

تلك روعة المعجزة تستطيع أن تتبينها إذا عرفت أن السحرة كانوا موعودين بالجاه والسلطان والمال، وكانوا هم أعوان فرعون الذين يروجون له، وكان فى أيديهم حكم الدنيا إذا غلبوا، أو إذا اتهموا موسى بأى اتهام باطل يروج له فرعون وجنوده، ولكنهم بهتوا وذهلوا أمام معجزة فخروا ساجدين، وتركوا كل هذا مضافاً إليه عذاب فرعون عندما رأوا آية من آيات اللّه.

وعيسى جاء إلى قومه وقد نبغوا فى الطب فأبرأ الأكمه والأبرص، وزاد على ذلك بأنه أحيا الموتى بإذن اللّه، إذن عيسى تحدى قومه فى شىء نبغوا فيه، فجاء لهم بما تجاوز علمهم، وزاد عليه بإحياء الموتى بإذن اللّه، فكان التحدى من جنس ما نبغ فيه قومه[1].

---

(١) قال القرطبي قوله تعالى: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الأكمه: الذي يولد أعمى؛ عن ابن عباس. وكذا قال أبو عبيدة قال: هو الذي يولد أعمى؛ وأنشد لرؤبة:

فارتد ارتداد الأكمه. وقال ابن فارس: الكمه العمى يولد به الإنسان وقد يعرض.

قال سويد: كَمِهت عيناه حتى ابيضتا

مجاهد: هو الذي يُبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. عكرمة: هو الأعمش، ولكنه في اللغة العمى؛ يقال كَمِه يَكْمه كَمَها وكَمُهتها أنا إذا أعميتها. والبرص معروف وهو بياض يعتري الجلد، والأبرص القمر، وسام أبرص معروف، ويجمع على الأبارص. وخُص هذان بالذكر لأنهما عياءان. وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم اللّه المعجزة من جنس ذلك. ﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: أحيا أربعة أنفس: العاذر: وكان صديقا له، وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح؛ فاللّه أعلم.

فأما العاذر فإنه كان قد توفى قبل ذلك بأيام فدعا اللّه فقام بإذن اللّه وودكه يقطر فعاش وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مر به يُحمل على سريره فدعا اللّه فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله. وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا اللّه فعاشت بعد ذلك وولد لها؛ فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة فأحيي لنا سام بن نوح. فقال لهم: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه، حتى انتهى إلى قبره فدعا اللّه فخرج من قبره وقد شاب رأسه. فقال له عيسى: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح اللّه، إنك دعوتني فسمعت صوتا يقول: أجب روح اللّه، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسي. فسأله عن النزع فقال: يا روح اللّه إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي؛ وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، فقال للقوم: صدقوه فإنه نبي؛ فآمن به بعضهم وكذبه بعضهم وقالوا: هذا سحر.

وروي من حديث إسماعيل بن عياش قال: حدثني محمد بن طلحة عن رجل أن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١] وفي الثانية: ﴿ تَنزِيلُ ﴾ [السجدة: ٢] فإذا فرغ حمد اللّه وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم يا حفي يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد؛ ذكره البيهقي وقال: ليس إسناده بالقوي.

النبي محمد صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم

ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء والعرب قوم بلاغة وفصاحة، فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه، وهى بلاغة القرآن التى تحدتهم وأعجزتهم، فقالوا ساحر، وقالوا مجنون[١]. على أننا سنتناول معجزة القرآن بالتفصيل فى هذا الكتاب، حيث إن إعجاز القرآن ليس لغويا فقط، ولكن له جوانب كثيرة من الإعجاز الذى يتحدى به الله سبحانه وتعالى الإنس والجن إلى يوم القيامة، والقرآن له عطاء يتجدد مع كل جيل من الأجيال.

وإذا كانت المعجزة خرقا للعادة مقرونة بالتحدى، ولا يستطيع أحد معارضتها، فقد تأتى المعجزة خرقا للعادة، ولكنها ليست مقرونة بالتحدى، أى إن الله سبحانه وتعالى لا يتحدى بها البشر ولا يطالبهم أن يأتوا بمثلها، بل إن هذه المعجزة تأتى لإثبات طلاقة قدرة الله فى كونه، بحيث لا يخضع الإنسان كل الأسباب والمسببات[٢]، بل الإنسان المؤمن يجب أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى فيما تعجز عنه الأسباب، فالله قادر قاهر ليس لقدرته قيود ولا حدود.

والقرآن يعرض مسألة المعجزة لإثبات طلاقة القدرة الإلهية فى سورة مريم، يأتى ليثبت قضية من القضايا التى اعتاد فيها الناس الأسباب والمسببات، وهى مسألة بقاء النوع

---

(١) روى مسلم [٥٢٣/٥] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال؛ قال رسول لله صلى الله عليه وسلم: «فضلت على الأنبياء بست: **أعطيت جوامع الكلم**. ونصرت بالرعب. وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا. وأرسلت إلى الخلق كافة. وختم بي النبيون.

قال الهروي: يعني به القرآن. جمع الله تعالى فى الألفاظ اليسيرة منه، المعاني الكثيرة. وكلامه صلى الله عليه وسلم كان بالجوامع، قليل اللفظ كثير المعاني

وروى البخاري [٧٠١٣] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي.

قال أبو عبد الله: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين، أو نحو ذلك.

(٢) بحيث لا يُخضع الإنسان كل المسبَّبات لأسباب أخرى غير الله عز وجل.

obeikandl.com

وبقاء النوع مشروط بالتقاء رجولة وأنوثة لينشأ إخصاب وحمل، ولابد أن تكون الرجولة مكتملة، والأنوثة غير ناقصة ليتم ذلك.

فيأتى الله سبحانه وتعالى ليثبت لنا طلاقة القدرة الإلهية بلا حدود ولا قيود، حتى لا يفهم الإنسان أن الخلق مقرون بأسباب ومسببات لابد من وجودها، ومن هنا فإن الله فى قضية الخلق يريد أن يدير المسألة من زواياها الأربع، فليس بقاء النوع أو إيجاد النوع هنا بوجود ذكر وأنثى، بل هو رهن بمشيئة الخالق، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يخلق رجلاً بلا ذكر ولا أنثى - وهو أبونا آدم عليه السلام -، ويخلق من رجل بلا أنثى - أمنا حواء - ويخلق من رجل وأنثى - سائر البشر -، ويخلق من أنثى بلا رجل - عيسى عليه السلام -، وبذلك تكون أركان الخلق الأربعة قد اكتملت بـ ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾.

ولنشرح ذلك قليلاً، الله خلق آدم أول الخلق من لا ذكر ولا أنثى، فآدم لم يكن له أب ولا أم خلقه الله سبحانه وتعالى، ونفخ فيه من روحه، هذه واحدة، خلق من لا ذكر ولا أنثى. وخلق الله حواء على الأرجح من الذكر من دون الأنثى، ثم خلق البشرية كلها من الذكر والأنثى، بقى شىء فى الخلق، أن يخلق الله من الأنثى بلا ذكر، فتأتى مسألة عيسى عليه السلام، وتأتى بقية الكون كله من البشر، ويأتى عيسى عليه السلام من أنثى لم يمسسها رجل، ومن هنا تكون القسمة للخلق أربعة، فأصل الخلق كما أراده الله أن يكون وجعل له الأسباب، هو من ذكر وأنثى، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون النشء من غير وجودهما معاً فخلق آدم، ومن وجود الرجل وحده فخلق حواء من آدم، ومن وجودهما معاً فخلق البشرية كلها بالتناسل، ومن وجود الأنثى بدون الرجل، خلق عيسى، وبذلك تكون أوجه الخلق كلها قد اكتملت.

إلا أننا يجب أن ننتبه إلى شىء هام، خَلْقُ الإنسان بدون ذكر أو أنثى، معجزة تخضع لله سبحانه وتعالى، خلق الأنثى من الرجل وحده معجزة تخضع لإرادة الله سبحانه وتعالى خلق الرجل من الأنثى وحدها بدون أن يمسها رجل، معجزة من الله سبحانه وتعالى، خلق الإنسان من ذكر وأنثى، معجزة جعلها الله فى الدنيا بالأسباب والمسببات، ولكنه لم يطلقها لتتم بالأسباب والمسببات وحدها، فأدخل فيها المشيئة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى: ٥٠].

إذن.. كل معجزة الخلق التى تمت إنما تخضع لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فليس وجود النوعين موجباً لأن يوجد الخلق: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠ ﴾ [الشورى].

المسألة ليست وجود مسببات، بل إن الله سبحانه وتعالى حين يريد للأسباب أن تفعل تفعل، وحين يريدها أن تتعطل تتعطل، وحين يريد أن يأتى بالعلل من دون الأسباب يأتى بها فلا قيود ولا حدود لقدرة الله سبحانه وتعالى.

هذه القضية فى أصل الكون، وهى قضية طرحها الله سبحانه وتعالى وأعطاها للبشر ليدخل الإيمان إلى قلب المؤمن فيضع فيه السكينة، فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمن: إذا ضاعت الأسباب فلا تيأس، فأنا الذى خلقت الأسباب، وأنا القادر على إيجاد المسببات بدون القانون، فلا تيأس إن عزّت الأسباب، ومن هنا يأوى المؤمن إلى ركن شديد ويحس بالطمأنينة تملأ قلبه، ولا يمزقه الفزع خوفا أو رعباً، حينما يفقد أى شىء، ذلك أنه يأخذ بالأسباب أولا، فإذا عزت الأسباب أو تعذرت ووجد كل الطرق مغلقة فى وجهه. اتجه إلى الله سبحانه وتعالى، فالمؤمن لا ييأس من رَوحْ الله أبدا، ولا تنهار نفسه أو يضيع أمنه عندما يرى انهيار الأسباب.

وتعرض لنا هذه القصة فى سورة آل عمران، ميلاد مريم رضى الله عنها، يحكى ذلك القرآن الكريم: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران].

كلمة: ﴿ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ التى قالتها امرأة عمران تُفسَّر على أنها لم تضع ذكرا ؛ أى إن الوليد الذى جاء لا يؤدى الغرض الذى وهب من أجله ؛ لأن امرأة عمران نذرت ما فى بطنها لله سبحانه وتعالى، وكيف تستطيع مريم أن تؤدى الخدمة فى المعبد وهى أنثى وامرأة عمران تقول: إن الرجل أفضل من الأنثى فى ذلك، فيقول لها الله سبحانه وتعالى: إنك مازلت تحسين أن الذكر أحسن من الأنثى، هذه العملية التى تفكرين فيها هى منطق الدنيا الخائب.

ويضيف الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦]. أى: إن الأنثى التى جاءت أفضل من الذكر الذى تمنيته، وكأنما الأنثى لها مكانة أكثر مما تظنين، فلا تقولى: إن الله قد أعطانى أنثى ولم يعطنى ذكرا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ؛ ولأنه يعرف أن هذه الأنثى سيصبح لها شأن آخر، وبعد ذلك نعرف أن والد مريم متوفى، حيث إنها حين ولدت أرادوا أن يكفلوها، وكلمة من يكفلها دليل على أن وليها الطبيعى وهو الوالد غير موجود. ويكفلها زكريا، ومعنى أن يكفلها زكريا وفيه نبوة أنه يأتى إليها بكل مقومات حياتها، فعندما يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقا، ومعنى أن زكريا يجد عندها الرزق عند دخوله المحراب أو المكان الذى تصلى فيه مريم وتسجد، معناه أنه لم يأت بهذا الرزق، وإنما الذى أتى به هو الله سبحانه بدليل أن زكريا يسألها: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران: ٣٧]

وابتدأت الصغيرة المكفولة مريم بفطرتها تفهم أن الله سبحانه وتعالى ليس له قانون يحكمه وأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

هنا نتوقف قليلاً لنعرف أن الله سبحانه وتعالى حينما أعد مريم للمهمة التى ستقوم بها جعلها أولا منذورة لله سبحانه وتعالى ولعبادته، ثم جعل من يكفلها نبيا هو زكريا ثم بعد ذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يمهد لها أن لكل شىء فى هذا الكون سببا، إلا أن هناك أشياء تحدث بلا أسباب، أو يعطل الله فيها الأسباب، وبدأ بمسألة الرزق الذى يرزقها به فاكهة فى غير أوانها، ورزق ليس موجوداً فى الأرض؛ تمهيدا لما هو قادم وإعلانا لها بأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ثم بعد ذلك أتى الله سبحانه وتعالى بقضية أخرى هى دعاء زكريا بالولد عندما رأى الرزق بلا حساب عند مريم، هنالك دعا زكريا ربه، وطلب زكريا ولدا فاستجاب الله لدعائه، وبشره بالغلام، هنا تذكر زكريا عند هذه البشرى انهيار الأسباب عنده، فقال: يا ربى إننى رجل عجوز، أى إن الأسباب الكونية لإمكان الإنجاب غير موجودة، فكيف أستطيع أن أنجب طفلاً؟ فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق زكريا، ولم يك شيئا يذكر فهو يستطيع أن يعطيه الغلام بدون التقيد بالأسباب، هنا تذكير مرة أخرى لمريم بأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد فإنه يوجد الأشياء بدون الأسباب نفسها، أولاً أعطاها الرزق بلا أسباب للرزق ثم استجاب دعوة زكريا التى دعاها فى المحراب، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وكلمة: ﴿هُنَالِكَ﴾ تُشير إلى أن الدعاء تم فى المحراب عند مريم لتشهد مرة أخرى ما يثبت فؤادها فيما أعده الله لها، فترى الخلق يتم بدون أسباب الخلق، فزكريا عجوز، وامرأته عاقر ومع ذلك فإن الله قادر على أن يرزقه بولد، وكل هذا هدفه ألا تهتز مريم مما ستتعرض له من ولادة بدون ذكر، ومع ذلك، ومع كل هذه المقدمات اهتزت مريم حين رأت جبريل عليه السلام: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

أى: إنه بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا أسباب، ومن ولد لزكريا مع انتفاء الأسباب مع كل هذه المقدمات اهتزت مريم عندما رأت جبريل حتى أن الله سبحانه وتعالى ليثبتها قال لها: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

والله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لمريم: بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا

أسباب ومن خلق مع اختفاء الأسباب تتعجبين مما يحدث، لقد قلت يا مريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

شهدت يا مريم أن اللّه سبحانه وتعالى حين يريد تعطيل نواميس الكون، وإيجاد المسببات بلا أسباب، يستطيع أن يفعل ذلك، شهدته فى زكريا، ومع ذلك تتعجبين.

هذه المعجزة - معجزة خلق عيسى عليه السلام - لم يكن مقصودا بها التحدى فالله سبحانه وتعالى لم يتحد بها أحدا، لكن المقصود بها هو طلاقة القدرة أى إن اللّه يفعل ما يشاء، ومقصود بها استكمال الخلق بحيث يصبح الخلق بدون ذكر أو أنثى، ومن ذكر بلا أنثى، ثم من ذكر وأنثى لمن شاء اللّه، ثم من أنثى بلا ذكر وبذلك تكتمل مراحل الخلق.

ومعجزة أخرى لم يتحد بها اللّه بشرا، وهى معجزة شق موسى للبحر بعصاه فعندما طارد فرعون وجنوده موسى عليه السلام، ووصل أتباع موسى إلى البحر، والبحر أمامهم وجنود فرعون وراءهم، قال قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، وهذه مسألة طبيعية فى قوانين ومسببات البشر فجنود فرعون على بعد قريب، والبحر أمام قوم موسى، فهم لا يستطيعون مواصلة الفرار أو الهرب، وحينئذ رفع موسى الأمر إلى اللّه سبحانه وتعالى لم يقل سنصعد إلى جبل ليحمينا من فرعون وجنوده، ولم يقل إننا سننجو بطريقة كذا وكذا، وإنما حينما قال له قومه ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، رد الأمر إلى اللّه سبحانه وتعالى، وقال بملء فيه: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، ومن هنا فإنه نقل المسألة من قانون الإنسان أو البشر إلى قانون اللّه سبحانه وتعالى؛ فكأنه قد نقل القدرة من القدرة البشرية المحدودة، إلى قدرة اللّه سبحانه وتعالى التى ليس لها حدود ولا قيود، والتى تتم بكلمة كن، ومادام قد نقل القدرة منه هو إلى قدرة اللّه سبحانه فقد أصبحت هذه القدرة ينطبق عليها لفظ سبحان اللّه و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ أى: إنه لا عجب فيما سيحدث ولو خالف كل قوانين البشر لأن الفاعل هو اللّه سبحانه وتعالى فأصبحت النجاة نابعة من قدرة اللّه وليست من قدرة البشر فقال تعالى له: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣].

والمعروف أن الماء لا ينفلق لأن قوانين الماء هى الاستطراق، أى: لا يكون عاليا فى مكان ومنخفضا فى مكان آخر، لابد أن يتساوى سطحه، فإذا ضرب موسى بعصاه البحر فهو لا يستخدم قوانين الأرض، ولا قوانين الماء، ولا قدرات البشر؛ لأنه رفع الأمر إلى اللّه سبحانه وتعالى، ومن هنا تكون القدرة والفعل للّه فينشق البحر، وينجو موسى وقومه.

هذا هو معنى المعجزة فى إيجاز بالغ، فالمعجزة هى خرق لنواميس الكون، تتحدى ولا يستطيع أحد معارضتها.

والمعجزات نوعان: معجزات أعطاها الله سبحانه وتعالى لرسله ليتحدوا بها قومهم، ويثبتوا أنهم جاءوا بالهدى وبالرسالات من عند الله، ويثبتوا الإيمان فى قلوب الناس، ويبينوا لهم الطريق المستقيم المؤدى إلى الحياة السليمة، وهو قوانين الله فى الأرض، وليعرف الجميع أن هؤلاء رسل جاءوا من عند الله بمنهج الله وضعه للإنسان وهناك معجزات أخرى فى الكون، لم يرد الله بها التحدى، ولكنه أراد إثبات طلاقته فى الكون فى أنه هو الخالق، وأنه هو الموجد للأسباب والمسببات وأنه يقول: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ بلا مسببات، مادام الأمر قد رفع إلى الله سبحانه وتعالى بعيدا عن قدرات البشر وقوتهم.

obeikandl.com